تراث

معجز أحمد المعرّي يتقمّص معلّمه

فتنة المتنبي

لم يقترب شاعرٌ من أبي الطيب كما فعل أبو العلاء، الذي فهم تكوينه الشخصي وأسلوبه في الشعر الذي يفارق كلّ ما توارثه العرب، فدوّن انتقاداته في هذا الكتاب الذي عكس إعجابه بـ«الشاعر»، كما كان يُطلق عليه، بينما كان يسمّي بقية الشعراء بأسمائهم

محمود منير

فاق المعرّي معاصريه من الكتّاب في حفظ الشعر العربي حدّ أنه قال: «ما سمعت شيئاً إلا حفظته، وما حفظت شيئاً فنسيته». ولم يفت بالطبع العديد من الشعراء من أحكامه الجريئة والقاسية، وهو المشهود عنه تلك السخرية اللاذعة في إطلاق تشبيهاته الطريفة (والعنصرية أحياناً)، التي لم يسبقها إليه أحد، وسبّبت عداوات لا تُحصى كان لها نصيب في اختلاق عيوب لم تكن موجودة فيه.

بحلول عام 1007 ميلادية، قصد صاحب «رسالة الغفران» بغداد في زمن كان فيه البويهيون هم الحكام الفعليين لها مع ضعف الخلافة العباسية، مبتغياً حظّه من المكانة الأدبية حيث قضى عاماً ونصف عام، ابتعد عن المجالس ومخالطة الناس في أيام إقامته الأخيرة، فأفاض النقّاد في التعليق على طرده من مجلس الشريف المرتضى، بعد إبدائه التعصّب للمتنبي، إلا أنهم قصروا في تفسير مغادرته المبكرة للحاضرة الأقرب إلى قلبه.

هل حلّ المعرّي بمدينة السلام في زمن انحطاطها وتدهورها، حيث لم تعد القصيدة تمنح ما قدّمته لمعلّمه أبي الطيب، الذي حلم أن ينال شهرته ويتقمّص روحه فخابت آماله العريضة، وتملّكه الأسى والأسف فلم يُعرف عنه ذات الافتخار بنفسه بعد رحيله عنها قائلاً: «يا لهف نفسي على أني رجعتُ إلى/ هذي البلاد ولم أهلك ببغدادا».

محطّة أساسية تركت أثرها البالغ على بقية حياته، وربما دفعته إلى شرح ديوان المتنبي في كتابه «معجز أحمد» الذي حقّقه الباحث المصري عبد المجيد ذياب في أربعة مجلّدات، مضمّناً ملاحظاته التي تعكس إعجابه بـ«الشاعر» - كما كان يطلق عليه، بينما كان يسمّي بقية الشعراء بأسمائهم - وآرائه في الشعر وأساليبه ومعانيه.

لم يتوقّف المحقّق عن البحث في أكثر من مسألة شكّكت بنسبة الكتاب إلى المعرّي منذ صدور طبعته الأولى عام 1984، مضيفاً في تقديمه لكلّ طبعة ما وصل إليه من خلاصات، إذ أثيرت شبهات مردّها عدم ذكره هذا المؤلّف في ثبت كتبه، والخلط بينه وبين كتاب آخر يُنسب إلى أبي العلاء بعنوان «اللامع العزيزي»، ويشرح فيه ديوان أبي الطيب أيضاً، وعدم احتواء مخطوطه على مقدّمة كعادة صاحب «سقط الزند» في تصدير مؤلّفاته.

جدلٌ لا يزال مفتوحاً حول هوية صاحب المعجز إلى اليوم، لكن مقدمة الطبعة الأخيرة رجّحت أن يكون الكتاب آخر ما ألّفه أبو العلاء، وأن اعتداء الفرنجة على مكتبته ربما أدى إلى فقدان الصفحات الأولى منه التي تضمّنت تقديماً على الأغلب، وأن الادعاء أنّ الشرح مختصر، لا أساس له، بل هو «أوفى شروح المتنبي استقصاءً لشعره. ونجد فيه ما لا نجده في كتاب»، بحسب المقدّمة.

يضمّ الجزء الأول بابين: «العراقيات الأولى» و«الشاميات» تبرز فيهما دائقة الشارح كأساس النقد القديم لدى العرب، وتركيزه على أمور النحو والصرف والبلاغة التي تكرّس فهمه المتطوّر للغة وعلومها، حتى إن بعض معاصريه أشاروا إلى أنه أدرى بالنحو من سيبويه وباللغة والعروض من الفراهيدي. وفي شرحه بيتاً من عراقيات المتنبي الأولى، وهو: «أزى من برندي قطعة في فرندِهِ/ وجودة ضرب الهام في جودة الصّقل»، يكتب المعرّي: «فكأنه يقول: كيف أترك النهوض واقعد عن محاربة أعدائي؟ ولي جوهر في المضاء والشجاعة، وللحرب آلة موفورة، وهو السيف الذي فيه الجوهر الكريم والصقل الجيد».

تأخذ الشروح طابع الوصف والتحليل للوقوف على أسلوب المتنبي، بتفريقه عن أساليب غيره من الشعراء، مع وقوعه على ما يراه من تكرار أو إعادة أو سرقة كذلك، من خلال تفسير المعاني الغامضة، وتبيانه جمال القول والعبارة وإبراز الصواب والخطأ فيهما، في تغليب للناقد المتذوّق على طابع السجال والردود التي اعتمدها المعرّي في مؤلّفات أخرى، تكاد تكون غاية تاليفها الرد على عصره ومعاصريه والإشتباك معهم.

تعكس الشروح فهماً عميقاً لشخصية المتنبي الذي يحيل اعتداده بذاته إلى فرادة فكره ولغته في المقام الأول، فيدوّن المعرّي في تعليقه على البيت التالي من باب «الشاميات»: «لهُ هِمَمٌ لا مُنتهى لِكِبارِها/ وهِمَّتُهُ الصُغرى أجَلُّ منَ الدَهرِ»، عبارة من ستّ كلمات يقول فيها: «إلا أنه قلب الهمم إلى الرأي». وقد صدرت عدّة دراسات حول «معجز أحمد»، نبّهت إلى انفراد صاحب «اللزوميات» في تفسير العديد من الأبيات، ومنها قوله باجتماع التعجب والتعظيم في تشكّيه سيف الدولة في قصيدة مطلعها: «أيَدْري ما أرابَكَ مَنْ يُريبُ/ وهَل تَرْقى إلى الفَلَكِ الخطوبُ/ وَجسمُكَ فَوْقَ هِمّةِ كلّ داءٍ/ فَقُرْبُ أقلّها منهُ عَجيبُ»، خلافاً لجميع الشروحات التي سبقها غيره لشعر المتنبي ورأت أنها صيغة استفهام حقيقي.

يلتفت قارئ الكتاب إلى انتقادات المعرّي في مواضع كثيرة لأبي الطيب، ومنها شرح بيت: فلا تبلغاه ما أقول فإنّه/ شجاعٌ متى يذكر له الطّعن يشتق»، حيث علّق عليه: «وهذا بيت «كثير» نقله من النسيب إلى الشجاعة، وهو: فلا تذكراه الحاجبية يشتق، وهذه السرقة قبيحة، لأنه أخذ المعنى واللفظ والوزن والقافية».

أما في بيت: «وما نجا من شفار البيض منفلتٌ/ نجا ومنهنّ في أحشائه فزَع»، فيوضّح المعرّي: «ومنفلت ليس بالفصيح. والجيد المفلت، والأول أيضاً لغة»، ولا يغفل أيضاً عن التنويه بأشعار سابقة اقترب المتنبي من معناها أو مبناها، مبيّناً إذا كان تجاوزها بلاغة ولغة، أو لم يبلغ جمالها وقصّر عنه، واحياناً لا يرجّح أحدا على أحد.

قراءة تحيل إلى موضوعية صاحب «رسالة الملائكة» في نقد معلّمه الذي سار على خطاه بالابتعاد عن أساليب العرب المتوارثة، فأدخل تأمّلات فلسفية وعقلية من اختصاص النثر إلى الشعر، وفي ذلك تحدّ كبير لم تعهده الثقافة العربية من خلال تحويل الأفكار المجرّدة إلى صياغات شعرية لا ينقصها جمال التركيب ولا القدرة على انتقاء الألفاظ الملائمة، وما يجعلنا نقف على أنهما تعاملا مع الشعر بوصفه صنعة وتجربة وليس موهبة وإيحاءً وفطرة كانا الأبرع فيها أيضاً.

تمثال المتنبي في بغداد (جوزيف عيد/Getty)

> جدلٌ لا يزال مفتوحاً حول هوية صاحب المَعجز إلى اليوم
>
> أدخلا للشعر تأمّلات فلسفية وعقلية كانت من اختصاص النثر

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

شاعران واسم واحد

لأسباب نفسية وشخصية وأخرى تتعلّق بالظروف التي عاشها كلّ منهما، فإن المتنبي اختار ذاته منطلقاً لمحاكمة كلّ ما يدور من حوله والإمساك بالمعنى، بينما سيرتدّ المعرّي إلى تأمّل الوجود للنفاذ إلى ذاته التي تخفّت بلبوس الحكمة والفلسفة، ليظل الالتباس قائما إلى اليوم إن كان الإعجاز منسوبا إلى احمد بن الحسين المتنبي حين عنون كتابه بـ«معجز احمد»، ام قصد به نفسه؛ احمد بن عبد الله المعرّي.

وقفة مع

عبد الله حبيب

تقف هذه الزاوية، مع مبدع عربي في أسئلة سريعة حول انشغالاته الإبداعية وجديد إنتاجه وبعض ما يودّ مشاطرته مع قرّائه

مسقط ـ **العربي الجديد**

■ ما الذي يشغلك هذه الأيام؟

التطبيع، ثم التطبيع، ثم التطبيع. في كل مرّة نقول إن الجواد سينهض من كبوته، لكن في هذه المرّة «تكسرت النصال على النصال» بالفعل. في هذه المرّة صار الهواء تعريفاً للعلقم، وأصبح الرغيف شقيقاً للرماد. في هذه المرّة لم تعد الضلوع قادرة على استيعاب مفردات من قبيل «التهشيم»، و«السحق»، و«الطحن». في هذه المرّة نحن وراء الشمس التي جفّت.

■ ما هو آخر عمل صدر لك وما هو عملك القادم؟

آخر عمل صدر لي هو «مفاتيح ضئيلة، سماوات واسعة: شهادات ومداخلات» وذلك في 2018. أما عن عملي القادم فأنا مشتّت الجهد وضائع الهوى بين ثلاث مخطوطات: مذكرات أو يوميات فترة السجن، ومحاولة استكمال الجزء الثاني من «مساءلات سينمائية» (قد يصدر إذا ما اكتمل بعنوان آخر)، ومحاولة إنهاء التسويف الذي طال أكثر مما ينبغي في مشروع إصدار كتيّب يحتوي دراسة موسّعة إلى حد ما عن فيلم توفيق صالح «المخدوعون» المبني على الرواية القصيرة «رجال في الشمس» لغسان كنفاني.

■ هل أنت راض عن إنتاجك ولماذا؟

الرضى شيء مستحيل لأنه مثل «الجمال المستحيل حيث الرب لم يمنحنا شيئاً سوى الألغاز» على رأي دوستويفسكي. غير أني لا أحبّذ أن أكون تجريدياً وميتافيزيقياً أكثر من اللازم في ما يخص هذا السؤال. من ناحية: نعم، أنا راض عن إنتاجي، ومن ناحية أخرى: كلا، لست راضياً على الإطلاق عن إنتاجي. لماذا أقول ذلك؟ أقوله لأني، مع تقدم العمر وأطراد اعتلالات الجسد والروح، صرت موقناً أنه لزاماً على المرء أن يكتب كي لا يموت (مهمة تقييم ذلك الإنتاج والحكم على جودته من عدمه من شأن أناس آخرين، وحساسيات أخرى تقع خارج النص منذ البداية). بهذا لم أعد أنتظر «اللحظة المثالية» للكتابة وتجويدها، وأعتقد أني خسرت نصوصاً محتملة متسكعاً بلا جدوى في أودية مقفرة بحثاً عن وهم الاكتمال. في هذه الفترة من تجربتي صرت أشقّ بالقبلات المسترقة السريعة أكثر من يقيني بالجبال.

> لم أعد أنتظر «اللحظة المثالية» للكتابة وتجويدها

■ لو قيض لك البدء من جديد، أي مسار كنت ستختار؟

حقيقةً لا أعرف. ما أعرفه هو أني لا أريد أن أبدأ من جديد. أنا مُرْهَقٌ بما فيه الكفاية وأريد النهاية عوضاً عن البداية.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

الحرية (في الأقل، الحد الأقصى الممكن منها).

■ شخصية من الماضي تود لقاءها، ولماذا هي بالذات؟

صديق يخطر على بالك أو كتاب تعود إليه دائماً؟

عن الصديق فهو الراحل العزيز الشاعر والباحث الإماراتي أحمد راشد ثاني الذي غدر بالجميع ومات ونحن بالكاد في بداية الحديث. أما عن الكتاب فهو «جينيالوجيا الأخلاق» لنيتشه. أعتقد أن ذلك الكتاب لا تمكن كتابته بصورة نهائية، ولا قراءته بصورة أولية.

ليست شخصية واحدة؛ وذلك على اعتبار أن تلك الشخصية تتواشج مع شخصيات أخرى لا بد من حضورها مجتمعة كي يتم تبادل أنخاب الحوار. في حالتي أود أن التقي ماركس ونيتشه وفرويد دفعة واحدة كي أوجّه لهم ما يكفي من التقريع بسبب كل هذا الذي يحيق بنا (تقريباً بسببهم).

■ ماذا تقرأ الآن؟

في الحقيقة أنا موزّع بين عدد من القراءات في تجربة جديدة، وهذه تجربة لن تستمر فقد اكتشفت أن قدراتي على التركيز الذهني لا تسمح بتعدّد القراءات في الوقت عينه. بالكاد يستطيع المرء أن يركز على كتاب واحد فقط. فلنقل إني أقرأ يوميات فيرناندو بيسوا بترجمة المهدي أخريف.

■ ماذا تسمع الآن وهل تقترح علينا تجربة غنائية أو موسيقية يمكننا أن نشاركك سماعها؟

في فترة انفجار مرفأ بيروت استمعت غزيراً إلى فيروز. وبعد ذلك عدت إلى إدماني القديم: «أحبك لو تكون حاضر» لطلال مدّاح، و«القدّاس الموتى» لموتزارت، و«تاسعة» بيتهوفن.

عبد الله حبيب (العربي الجديد)

يوميات

عبر وادي النار من بيت لحم إلى رام الله

حياتنا جزء من متحف

تبقّى نصف ساعة أنا لا أزال في منتصف الطريق. ليس لديّ متّسَع من الوقت، أقرّر أن أراسل المتحف لأعلِم قيّم المعرض بتأخّري

ساند نجم

الآن، أنا في طريقي إلى «المتحف الفلسطيني» في بيرزيت من أجل معرض. ليس لديّ متّسَع من الوقت للمقدّمات، الواحدة ظهراً موعدي مع قيّم المعرض، هكذا اتفقنا عندما رُعيت عبر «الإيميل»، تستغرق الطريق بمركبة عمومية ساعةً ونصف الساعة في الحدّ المتوسّط، من بيت لحم. ومعي ساعتان ونصف الساعة، ودقّقوا أنني قلت «في الحد المتوسط»، ولم أقل «في الوضع الطبيعي»، إذ ما من شيء طبيعي في التنقّل داخل هذا البلد. يصرخ «الشوفير» ونحن في بلدة بيت ساحور: «كلّكم لابسين كمامات؟ الشرطة مستنفرة وبتلمّ مصاري»، يقصد إصدار المخالفات، ويسأل الراكب الذي بجانبي: «أي شرطة فيهم؟»، يقصد الفلسطينية أم الإسرائيلية، فيردّ الشوفير: «مش مهم»، ويرفع صوت الراديو، فينهال المذيع بنشرته المكدّسة بكلمات «الاحتلال، اتفاق العار، الأسرى، كورونا، الخارطة الوبائية». ومع انتهائه بجملة «الخارطة الوبائية»، كنّا قد قطعنا طريق وادي النار، ووقفنا في طابور المركبات عند حاجز «الكونتينر» العسكري. مع حرارة الشمس الملتهبة، وخضخضة الطرقات التي تتجنّب «المستوطنات»، ضاع مجهودي الذي بذلته في كيّ القميص وتصفيف الشَّعر قبل الخروج، حتى مفعول العطر الذي استنفدت نصفه، ضاع لوهلة، ونسيتُ أمر الفعالية الثقافية. يُطلق الشوفير نداءه في منطقة العيزرية: «اربطوا أحزمتكم، هناك شرطة إسرائيلية»، أنظر إلى هاتفي وأقرّر أن أكتب منشوراً على حسابي في فيسبوك عن وفاة والدة الأسير سامر العربيد: «هل سمعتم بالوداعات غير المكتملة؟ إنها أصعب من وقع الفراق على القلب، كالقصص التي نعيشها كلّ يوم ونسمعها عن الأسرى والشهداء. يُختطف الشخص بغتةً ويبقى باب والدته وزوجته مفتوحاً على مصراعيه لأي خطوة، لأي رنّة تُنذر بالعودة».

أنظر إلى ساعتي، تبقّى نصف ساعة وأنا لا أزال في منتصف الطريق، ليس لديّ متّسَع من الوقت، أقرّر أن أراسل المتحف لأعلِم قيّم المعرض بتأخّري. ومع انتهائي من الرسالة، أقرّر أن أراسل المتحف لأعلِم قيّم المعرض بتأخّري بشكل أكبر، ولكنّي أغرق قبل هذا بمشاهدة بثّ مباشر عبر الصفحات الإخبارية لأول طائرة «إسرائيلية» تحطّ في الإمارات وتحمل اسم «كريات جات» نسبةً لاسم مستوطنة إسرائيلية أُقيمت بعد مجازر على أنقاض قريتي «عراق المنشية» و«الفالوجة» عام النكبة. الكثير من الدماء التي سُكبت، الكثير من الدماء التي تغلي برؤية هذا المشهد الفاجر!

يصرخ الشوفير صرخته الثالثة: «طريق مخيّم قلنديا أزمة، رح أمرّ من طريق حاجز الـDCO»، فتطول الطريق ويضيق صدري أكثر، وأتمتم أنا في سرّي ساخراً: حياتنا جزءٌ من متحف.

شعرتُ في هذه اللحظة بالذات، وأنا أتماوج من حرارة الشمس داخل مركبة تهيم من لعنة «أوسلو» في الطرقات، بحاجة إلى صرخة تشبه صرخة لوحة الفنان مونك، وللمفارقة، فاللوحة معروضة بمدينة «أوسلو» في النرويج.

بعد تأخّري لأكثر من ساعة، تأجّل الموعد ليومين. وفي موعدي الثاني، بينما كنتُ أتجوّل داخل المعرض الواسع، لفتني المشرف على المعرض إلى عناوين إحدى الصحف الفلسطينية المطبوعة قبل أربعين عاماً، معروضة على الحائط، بحلقتُ، وقلت له: «لم يتغيّر شيء. نفس العناوين»، وأكمل هو معلّقاً: «نعم، الأسماء هي التي تغيّرت، فقط».

(صحافي من فلسطين)

قمع لتظاهرة فلسطينية قرب مخيّم الجلزون، كانون الثاني/يناير 2014 (عباس مومني/ Getty)

> بحلقتُ وقلت له: لم يتغيّر شيء.. نفس العناوين

فعاليات

تنظّم «مؤسسة عبد الحميد شومان» في عمّان على صفحتها في فيسبوك ويوتيوب، عند الثامنة من مساء السبت المقبل، امسية بعنوان **يوم العود**. تشارك في الامسية مجموعةٌ من عازفي العود هم: **طارق الجندي** (الصورة)، و**صخر حتر**، و**دنا فواخيري**، و**اصيل ابو سماقة**، ويرافقهم على الإيقاع العازف **ناصر سلامة**.

السرديات الفنية والثقافية في قطر عنوان حلقة نقاشية ينظّمها افتراضيا «المتحف العربي للفن الحديث» في الدوحة، بعد غدٍ الاربعاء، بمشاركة الباحث الاردني محجوب **الزويري** والفنان القطري **سلمان المالك**. تركّز الحلقة على تطوّر الفن القطري منذ الستينيات، والاتجاهات والافكار التي شكّلته، وكيف يرتبط بالاتجاهات والحركات الإقليمية والدولية الاخرى.

يفتتح غداً الثلاثاء في «متحف بو تيه باليه» بباريس معرض **العصر الذهبي للرسم الدنماركي** والذي يتواصل حتى الثالث من كانون الثاني/يناير المقبل. يضمّ المعرض مائتي لوحة انجزت بين عامَيْ 1801 و1864 لفنانين مثل **كريستوفر ايكرسبيرغ**، و**كريستن كوبك**، و**مارتينوس روربي**، و**قسطنطين هانسن** (الصورة).

حتى نهاية الشهر الجاري، يتواصل المعرض الافتراضي الذي اطلقه «المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب» بالكويت، الثلاثاء الماضي. يشارك في المعرض قرابة مائتين وعشرين فنانا يقدمون اعمالا تتناول **التراث المعماري العربي**، منهم **جمانة الشيخ** (الصورة) من سورية، و**منير ناجي** من المغرب، و**ابتسام العصفور** من الكويت.